العلوم التربوية اللازمة لطلبة الشريعة

بقلم: د. مروان القدومي

مقدمة

تسهم كليات الشريعة في البلاد الإسلامية والعربية بدور مهم في تشكيل العقل المسلم ، وبناء الشخصية الإسلامية السوية من خلال المحتوى الدراسي الذي تقدمه لطلابها ، والفعاليات التدريسية التي تتبعها ، والوسائل التعليمية التي تستعين بها لتحقيق الأهداف السلوكية المقصودة وأحداث التعلم المنشود .

فمما لا شك فيه أن علوم الشريعة عظيمة ، وهائلة ، بقدر ما يتجلى في الإسلام ذاته من الشمول ، والاتساع والامتداد .

وفي ضوء هذا يبدو جلياً لكل ذي وعي، وبصيرة ، إيجابية العلوم الإسلامية وأهميتها في إذكاء حوافز الخير في الإنسان، وفي إخماد نوازع الشر والرذيلة فيه ، فضلاً عن أن هذه العلوم قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالوحي مما أضفى عليها قدسية لا نظير لها في العلوم الأخرى . وجعل دراسة هذه العلوم والتخصص فيها سبيلاً من سبل عبادة الله عز وجل والتقرب إليه ، بل إنه ليغرس في نفوس الدارسين لها ، والمتخصصين فيها حبها ، واحترامها ، احتراماً نابعاً من الإيمان بقدسية الشريعة ، وكمالها ، وشمولها ، وخلودها .

والمتتبع لتاريخ الأمة الاسلامية يلاحظ منذ العهود الأولى صدارة العلماء في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والسياسية .

يقول ابن قيم الجوزية : "إن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم ، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء ، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم ، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء . ولما كان قيام الاسلام بطائفتي العلماء والأمراء وكان الناس كلهم

لهما تبعاً ، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين وفساده بفسادهما [1].

والحقيقة أن ما زاد العلماء مكانة في الأمة ، أنهم كانوا ربانيين مخلصين له ، لا يريدون الا وجهه ، حريصين على التمسك بأهداب الدين الحنيف ، مجدين في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . كانت الآخرة هي همهم الأكبر عازفين عن الدنيا ومفاتنها لا يتركون للهوى منفذاً سواء أكان في أمر الدين أم الدنيا ، جادين في طلب الحق والحقيقة [2].

فهؤلاء في معيار الاسلام يأتون في الذروة من سلم الدرجات ، ليكون لهم الفضل والتبجيل على غيرهم . يقول الله تعالى في ذلك «يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات» [3].

ويقول عليه الصلاة والسلام: "العلماء ورثة الأنبياء" . فالمتأمل في هذا الحديث ، يلاحظ أن مكانة العلماء في الأمة ترتفع إلى أرقى ما يمكن أن يصل اليه محفوظ من البشر هي مرتبة الأنبياء .

فقد كان المعني بالعلوم الشرعية ، أو الفقهية ، يقود الحياة حيث كان يملك عقلاً متوقداً ، يقدر في لحظة على تكييف هذه المفردة ، أو تلك وفق مقاصد الشريعة ، فيعين على تمكين الخبرة الاسلامية من التواصل والاستمرار والالتحام بالحياة .

وكان وراء هذا التألق رعاية الدولة للحركة العلمية ، وتشجيعها للعلماء والفقهاء ، وتوفيرها الحرية الفكرية لهم، واعتمادها في مجال الأنظمة والقوانين على أحكام الشريعة .

وعندما ضعفت رعاية الدولة للعلم والعلماء ، وبدأ اقصاء الشريعة عن مجال الأنظمة والقوانين ، وبدأ العلماء يشعرون بالقيود التي تكبل عقولهم عن الانطلاق وراء ما يعتقدون أنه الصواب والسداد أخذت علوم الشريعة بالجمود والركود [4] .

ومن هنا تأتي أهمية إعادة النظر في نظامنا التعليمي ، لكسر العزلة بين علوم الشريعةوالحياة ، وإعادة الدم إلى شرايينه المتصلبة ، وضخها ، ومنحها الحيوية ، والمرونة التي تمكنها من أن تكون في قلب العصر لا بعيدة عنه .

١ابن قيم الجوزية: اعلام الموقعين عن رب العالمين ج١ ص١٠.

٢عباس مدني: مشكلات تربوية ص ٩١ .

٣سورة المجادلة: آية رقم ١١ .

٤هاني طعيمات: نشأة علوم الشريعة وتطورها وعلاقتها بالوحي، ص١٨ .

وأهم ما ينبغي ملاحظته في هذه المرحلة هو تطوير مناهج التعليم الشرعي ، وجعلها قادرة على التكييف مع متطلبات العصر ، حتى تتمكن كليات الشريعة في الجامعات من القيام بدورها الإيجابي الفاعل ، لتحافظ على سلامة الفكر الإسلامي ، بعيداً عن الجمود والانحراف ، ولتعد طلبتها إعداداً علمياً جيداً تزودهم بكل أنواع الثقافة الدينية والتربوية ليكونوا قادرين على مواجهة التحديات العصرية بعقلية واعية ، وذهنية متفتحة ، تستوعب مشكلات العصر .

فالمطلوب هو الإفادة من كل الفرص المتاحة لتخريج عالم الشريعة المؤهل تأهيلاً أكاديمياً عالياً والأكثر فاعلية ، وقدرة على الابتكار والعطاء من خلال الاستفادة من أكبر قدر ممكن من موضوعات المعرفة الانسانية المختلفة .

وهنا نرى أن على الكليات التي تعلم العلوم الاسلامية أن تدخل في منهاجها بعض متطلبات في العلوم التربوية . نظراً لأن المواد التربوية فيها لا تحظى إلا بقدر ضئيل من عدد الساعات الأسبوعية ، وهو أمر يحتاج إلى إعادة النظر ، لأن العلوم التربوية تتصل بالانسان الذي هو محور اهتمام الشريعة ، كما أن مهمة رجال الشريعة ذات طابع تربوي في المقام الأول .

ويعد موضوع التربية من أهم الموضوعات التي تعنى بها الأمم بصورة عامة. وجدير بأمتنا العربية والإسلامية أن تعنى بها بصورة خاصة لأنها معقد الرجاء ، ومحط الأمل ، لكل تقدم للفرد والمجتمع [٥].

الإصلاح التربوي:

لعل من المفيد بداءة أن نحدد مفهوم كلمة التربية ، فهي في اللغة العربية مأخوذة من "ربا" يربو بمعنى زاد ونما ، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: «وما اتيتم ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله» [٦].

ومن أصولها: ربي يربي ومعناها: نشأ وترعرع .

وربّ يربّ بمعنى أصلحه ، وتولى أمره وساسه ورعاه [٧].

ومعنى التربية في الاصطلاح:

مساعدة الفرد على أن ينمو وفق قدراته، واستعداداته ، وظروف الحياة في مجتمعه ، بحيث يكون أقدر على الإفادة من القدرات

٥ د. اسحق احمد فرحان: التربية الإسلامية ص١١ .

٦سورة الروم: آية ٣٩ .

٧ د. ابراهيم انيس وآخرون: المعجم الوسيط ج١ ص٣٢١

والاستعدادات فيما يعود على نفسه وعلى مجتمعه بالخير [٨].

فالتربية بوجه عام هي تشكيل اتجاهات الأفراد وفق قيم معينة ، واعانتهم على تكوين النظرة السليمة إلى الحياة ، وهي تقترن بالتعليم الذي يصقل ملكات هؤلاء الأفراد ، وينمي استعداداتهم في شتى المجالات .

وأما معنى التربية الإسلامية: فهي تلك المفاهيم الإسلامية العظيمة التي تؤدي بالانسان إلى عملية التخلية والتحلية ، التخلية من الأوصاف المذمومة ، والتحلية بالأوصاف المحمودة ، فهي تثقيف للعقل ، وتقوية للجسم ، وتزكية للنفس ، وتطهير للقلب دون أن يكون ذلك تضحية بأي من القوى على حساب قوى أخرى ، فهي عملية توازن وتناسب وتناسق وانسجام بين قوى النفس ، وبين قوى النفس وعلاقتها بالله والكون والحياة والناس جميعاً [٩].

ويتفق المربون جميعاً على أن نظام التربية والتعليم ضرورة لتوجيه الأفراد وصياغتهم صياغة اجتماعية منضبطة ملتزمة ، حتى يكونوا لبنات صالحة قوية في بناء المجتمع القوي المفكر المنتج [١٠].

اتجاهات الإصلاح التربوي

عند الحديث عن الإصلاح التربوي سواء أكان في مؤسسات تعليم العلوم الشرعية ، أو غيرها من مؤسسات التعليم العام ، فلا بد من ذكر الإتجاهات المختلفة في الإصلاح التربوي[١١].

الاتجاه الأول: ويرى أصحابه أن اصلاح نظم التعليم الحالية الموجودة في العالم الإسلامي أمر مشكوك فيه ، إلا إذا حدثت تغييرات جذرية في المجتمع تعيده إلى هويته الإسلامية .

الاتجاه الثاني: ويذهب أصحابه إلى إمكانية الإصلاح التربوي في ظل الأوضاع السائدة ، إذا أحسنا التخطيط لهذا الإصلاح.

الاتجاه الثالث: ويذهب أصحابه إلى أن الاصلاح التربوي يجب ألا يتجزأ ، بل ينبغي أن يكون شاملاً ، ومتكاملاً ، لكل العناصر المادية ، والبشرية ، والمعرفية ، والتقنية ، التي تتألف منها المؤسسة التربوية [١٢].

٨ د. عبد الغني النوري: نحو فلسفة عربية للتربية ص٥.

٩ د. حسن الشرقاوي: نحو تربية إسلامية ص١٣ .

١٠ د. محسن عبد الحميد: الإسلام والتنمية الاجتماعية ص١٣٠.

١١ د. عبد الرحمن النقيب: الثقافة التربوية ص٢.

١٢ د. عبد الرحمن النقيب: التربية الإسلامية رسالة ومسيرة ص٣٨-٤٠

وإذا أردنا أن نطبق تلك الاتجاهات على إصلاح التعليم في كلية الشريعة فإننا نرى أن الاتجاه الثاني هو الذي يمكن انجازه بالفعل في ظل الظروف الحالية المواتية ، بمعنى أن نركز على جزئية حسب أولويات نضعها لهذا الإصلاح .

ولما كان لكل فلسفة تربوية قيم ، فإننا نجد فلسفة التربية مستندة إلى قيم كبرى تتضافر للوصول بالإنسان إلى الإصلاح والصلاح وشجب كل صور الفساد والإفساد في النفس والسلوك والمجتمع .

فصانع المنهج ، هو صانع الجهاز الآدمي وموجوده ، والخبير بكل خلجة من خلجاته ، وبكل خلية من خلايا جسمه ، وبكل ذرة من ذرات تكوينه .

«هو أعلم بكم أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم» [١٣].

لقد سعى الاستعمار وأعوانه الى عزل أبناء الأمة الاسلامية عن ثقافتهم الأصلية ، واستبدال ثقافات بعيدة عن شريعتهم بها وربما تكون منافية لأهدافها وخصائصها حتى أوهموا الناس أن الاسلام دين عبادات فقط ، لا دخل له بالتربية أو السياسة ، أو الاقتصاد . الأمر الذي أدى إلى أن يتصور الكثير من هؤلاء المحسوبين على الإسلام أن أصل العلم والتقدم إنما يتمثل في المفاهيم والنظريات التي ترد الينا من البلاد الشرقية والغربية .

إزاء هذا الواقع الذي عاش فيه أبناء الأمة الاسلامية ردحاً كبيراً من الزمن ، صار من الضروري والمحتم شرعاً أن نتعامل مع سائر العلوم التربوية وفق مفاهيمها الإسلامية الخاصة النابعة من الكتاب والسنة بأسلوب مستقل بعيد عن التأطير ومحاولات اسقاط المصطلحات الوضعية على المفاهيم الإسلامية .

فقد تعرضت النظم التربوية في العالم الإسلامي لاصلاحات فاشلة قام بها أهل الدخل ومستطفلون من أصحاب الدجل ، وصارت هي في وادي ومطامح الأمة ورغبتها وأصالتها ووحدتها في وادٍ آخر [١٤].

وما علينا لتعديل ذلك إلا أن نكشف الأقنعة الزائفة ، لنظهر الحقائق كاملة ، ونبين للناس ما قدمه الإسلام والمسلمون من نظريات ما يزال الباحثون يحاولون دراستها ، تجريبياً وعلمياً .

١٣سورة النجم: آية ٣٢ .

١٤ د. عباس مدني: مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية ص٤٧.

فلا نريد أن يدرس الطالب في جامعاتنا علوم التربية ، والاجتماع كما يدرسها الطالب في جامعات الغرب ، وضمن نفس الإطار ، ومن نفس المنظور ، حتى ولو كان التدريس باللغة العربية ، إنما نريد لطالبنا أن يدرس هذه العلوم من منطلقات إسلامية ، ثم لا بأس بعد ذلك أن يطلع على النظريات المعاصرة لعلماء من الغرب أو من الشرق ، فتكتمل لديه النظرة المقارنة ، ويكون بذلك أصيلاً في علمه ، معاصراً في اطلاعه ، قادراً على إيصال مطالب المعرفة الشرعية في ضوء تناقضات المعطيات المعرفية الوضعية وإحباطاتها .

العلوم التربوية اللازمة لطلبة الشريعة:

إن إحدى مشاكل المناهج الجامعية الشرعية أنها تعطي طلابها الفقه الشرعي ، وتمضي معهم في الفقه الدعوي إلى منتصف الطريق ولكنها لا تكاد تعطيهم شيئاً عن الفقه الحضاري ، فها هي ذي الحلقة الضعيفة في عقل خريجي الكليات الشرعية والتي تساعد بدورها على حفر الخنادق وتعميق الهوة بين الشريعة والحياة [١٥].

فهناك ضرورة تنمية الخبرات التدريسية لطلبة الشريعة قبيل تخرجهم وتعميق قدرتهم على الخطاب الشرعي ، وذلك عن طريق إغناء الخبرات المعرفية والتخصصية بعلوم التربية .

وسوف نقتصر هنا على إيراد ثلاثة علوم تربوية نرى أهميتها في إعداد طلبة الشريعة على اختلاف تخصصاتهم من أجل تحفيز الكلية على صياغة وتنفيذ برامج عمل نضعها في قلب العصر وتزيد من فاعليتها وتدفعها إدارة وأساتذة وخريجين إلى المواقع القيادية المؤثرة في المجتمع .

١) علم النفس الإسلامي:

بدأ علم النفس بداية فلسفية ، فهو علم قديم جداً ، إذ أن له تاريخاً يرجع إلى بداية التفكير الفلسفي تقريباً [١٦]. وأما دخول علم النفس مجال العلوم الطبيعية فلم يتم إلا حديثاً بل حديثاً جداً . نعني منذ أواخر القرن التاسع عشر وخلال هذا القرن ، وهو آخر العلوم التي انفصلت من شجرة الفلسفة[١٧] .

١٥د. عماد الدين خليل: منهجية التعامل مع علوم الشريعة ص٩، بحث مقدم لمؤتمر العلوم الإسلامية-عمان ١٩٩٤ .

١٦د. عبد الغني عبود: التربية الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري ص١٥١

١٧عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين ص٤.

وقد ورث المسلمون شيئاً من علم النفس بحسب ما جاء عند أفلاطون ، وأفاض علماء الكلام في المباحث النفسية لصلتها بالاعتقاد الديني ، وحلل المتصوفة النفس البشرية تحليلاً عميقاً ونزلوا إلى أعماقها وأغوارها .

ونستطيع أن نقول في غير تردد أن الذي صور هذا العلم عند المسلمين هو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في القرن الخامس الهجري .

فالقرآن الكريم حوى تفصيلاً لمعظم الأصول النفسية التي يصدر عنها سلوك الإنسان ، كما صور ألواناً من الخوالج النفسية والعواطف البشرية .

وقد حذا أبو حامد في ابتداء أمره حذو المتفلسفة ، ثم تكلم عن كل ضرب من ضروب السلوك ، ضرباً ضرباً وبحث عن دوافعه الفطرية والمعدلة ، ووصف أحوال الفرد حين يسلك متأثراً بالبيئة والمجتمع ، وينزل إلى خضمه ويجمد عند تقاليده ، ثم يبين كيفية السمو بهذا السلوك في ضوء نور اليقين والمعرفة بالله . هذه المراحل الثلاث هي التي طبقها الغزالي عند الكلام عن كل باب من أبواب علم النفس ، الدوافع ، ثم الظواهر ، ثم التسامي [١٨].

ومما يؤسف له حقاً ، أن غالبية العلماء العرب المعاصرين قد أغفلوا التاريخ لعلم النفس الإسلامي ، كما أغفلوا التاريخ في العلوم الحياتية والعملية ، التي نبغ فيها أسلافهم وتابعوا الغرب في تعصبه لغربيته ، حتى أنهم دافعوا عن النظريات الغربية بوعي أو بغير وعي ، أكثر مما يدافع عنها كثير من العلماء الغربيين [١٩].

وكذا فإن كتب علم النفس تخلو من أي إشارة إلى المفكرين المسلمين وإلى نظرياتهم وآرائهم في علم النفس ، أمثال ابن سينا وابن الخزار وابن مسكويه ، وهذا ما يجعل الباحث في ذلك العلم يلقى صعوبة كبيرة في ربط علم النفس الحديث بعلم النفس الإسلامي .

وبناء على ذلك كله فإن إدخال مادة "علم النفس" في منهاج كلية الشريعة تهدف إلى تبصير الطلبة بالظواهر النفسية ، وتعريفهم بالآفات والنزاعات والدوافع التي يصاب بها الإنسان كما تهدف أيضا إلى استجلاء الطرق العلمية الموصولة لعلاج الأمراض النفسية

١٨عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين ص٥-٧.

١٩ د. حسن الشرقاوي: نحو تربية إسلامية ص٢٠٠.

والعصابية .

ورغم أن معظم المؤلفات في علم النفس تحمل مفاهيم ومضامين غير إسلامية ، إلا أن هذه الدراسة يحتاج إليها طلبة الشريعة من منظور إسلامي للتعرف على الطبيعة الإنسانية كما خلقها الله ، ومتى تكون سوية ، ومتى تكون مريضة نفسياً ، وكيف يمكن إرشادها وعلاجها بالتوجيه الإسلامي ، ومراحل نمو الشخصية السليمة ، والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها [٢٠].

إضافة إلى إثراء هذا العلم عن طريق البحوث ، والتقارير التي تكشف القناع عن جهود علماء المسلمين ومفكريهم في هذا المجال .

وإننا مع إدراكنا للأساس الذي قام عليه علم النفس المعاصر ، وشعورنا بأنه لا مستقبل له . فإننا سندرسه ونلقي الضوء على بعض جوانبه . ورائدنا في ذلك: هو تحصين الدارس المسلم من المعاني التي قد يجدها عند المشاهير ... وقد قيل لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يقدم له رجل: هذا رجل لا يعرف الشر ... فقال عمر رضي الله عنه: (ذاك أحرى أن يقع فيه)... فلا بد للإنسان الذي يتصدر للمنشط العقلي للإنسان ، ويعايش العصر الذي تتقلب فيه العلوم ، وتتصارع فيه العقائد المتباينة أن يتحصن بالمعرفة ، ويدرس ما لدى الآخرين حتى يمكنه أن ينقذه... وأن يرشد [٢١].

وهذا يشجع المسلم أن يزن كل فكر إنساني يفد إليه بميزان الإسلام . ومن هنا نجد أن العلم الحديث بقدر ما حقق من تقدم لا يزال قاصراً على فهم مكنونات النفس البشرية التي خلقها الله سبحانه ، وأودع فيها ما شاءت قدرته من صفات وعقل وفكر، وسخر لها ما في السموات والأرض .

«وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» [٢٢].

٢) دراسات في التربية الإسلامية:

يتفق المربون جميعاً على أن نظام التربية والتعليم ضرورة لتوجيه الأفراد وصياغتهم صياغة اجتماعية منضبطة ملتزمة ، حتى يكونوا لبنات قوية في بناء المجتمع القوي المفكر المنتج .

وأما فقدان التربية السليمة ، والتدين الحق فقد جعل الدنيا جحيماً ، وجعل

٢٠ د.عبد الرحمن النقيب: الثقافة التربوية لطلبة الشريعة ص ٨-٩.

٢١ د. مصطفى غلوش: مستقبل علم النفس ، مقال منشور في مجلة منبر الاسم عدد ١١ سنة ٤٣ تاريخ ذو القعدة ١٤٠٥ .

٢٢ سورة الإسراء: آية ٨٥ .

العلاقات البشرية في الحضيض .

ويتبين للمتأمل في آيات الله البينات ، انفراد المنهج الرباني بمفاهيم تربوية لا نجد لها مثيلاً في المناهج والنظم والفلسفات التربوية البشرية ، وهذه المفاهيم الربانية تستهدف خير الإنسان لا في الدنيا فحسب ، وإنما في الدنيا والآخرة جميعاً .

فالتربية الإسلامية قدمت نظرياً وعملياً حلولاً ناجعة لمسائل واجهت وتواجه المشتغلين في حقل التربية قديماً وحديثاً .

لقد اهتمت التربية الإسلامية بالإنسان قبل مولده ، منذ بداية الاختيار الزوجي وتتبعه بالاهتمام في مهده ، وصباه ، ورشده وأرشدت المربين إلى مسؤولياتهم التربوية: الإيمانية ، والخلقية ، والجسمية ، والنفسية، والاجتماعية ، والعقلية ، بدرجات سبقت بها التربية الإسلامية كثيراً مما جدّ في التربية الحديثة والمعاصرة من آراء ونظريات[٢٣].

ومن منطلقات التربية الإسلامية الأساسية ، أنها تربية شاملة ، تتناول مختلف جوانب الشخصية الإنسانية ، وتهدف إلى تحقيق التوازن بين التكوين النفسي والروحي والخلقي والعلمي والمهني[٢٤].

ومن منطلقاتها أنها تربية محافظة ومجددة: فهي محافظة بما تقوم عليه من مبادئ سماوية خالدة وتقاليد ثابتة وقيم أصيلة تمتد بجذورها إلى ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان . غير أنها ليست جامدة ولا متحجرة فهي تصلح لكل زمان ومكان ، والمسلمون تتجدد أحوالهم المعيشية بتغير الأزمنة -مع الاحتفاظ بالمبادئ والقيم الإسلامية- ولهذا يجب على التربية الإسلامية أن تنقل للنشء كل علوم العصر المادية التي لا تتعارض مع القيم الإسلامية من أجل رفع شأن المسلمين والنهضة المستمرة بالمجتمع الإسلامي والوفاء بالمطالب المتجددة للمسلمين [٢٥].

ومن سمات التربية الإسلامية أنها تربية إنسانية عالمية لا تعرف الحدود ، ولا تعرف الطائفية الضيقة ، ولا العنصرية البغيضة ، وإنما هي في خدمة الإنسان أينما كان ، تعمل لخيره وتبذر بذور المحبة بين أبنائه قال

٢٣ عمارة بيت العافية: التربية الإسلامية صورة الحاضر والمستقبل ص١١٤-١١٦

٢٤ د. عبد الغني عبود: التربية الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري ص٧٧

٢٥ د. نبيل السمالوطي: المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ص٢٥.

تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» [٢٦].

وسجلت التربية الإسلامية سبقاً كبيراً في دعوتها وتطبيقها لحرية التعليم ، كما سبقت التربية في حرصها وعنايتها بتأديب المتعلم وتهذيب أخلاقه ، كما سبقت التربية إلى معرفة وتطبيق وظيفة المعيد [٢٧]، التي نعرفها الآن في الكليات الجامعية .

وسبقت أيضا الى التطبيق الفعلي للجامعات الشعبية حيث كانت أبواب دور العلم مفتوحة لكل راغب في التعليم [٢٨].

ومن أغراض التربية الإسلامية: التثقيف العقلي ، والإعداد الفكري ، وتنمية القوى والاستعدادات الطبيعية في الإنسان ، والعمل على توازنها ، وإيصال الإنسان إلى أعلى درجة ممكنة من الكمال .

فغاية التربية الحقة أن تكون أعمال الإنسان صالحة تعبر عن إنسانية الإنسان ، وتبعده عن الصراع الغريزي الحيواني الذي ينتهي به إلى مجتمع شبيه بمجتمع الغابة .

وهي ليست تربية نظرية وإنما هي تربية سلوكية تهيء الإنسان العملي الذي يلتزم بنظام واقعي في الأخلاق والسلوك .

ومجمل القول: أن الباحث المنصف إذا درس المبادئ التربوية الإسلامية وصل إلى أنها بمجموعها تشكل منهجاً متكاملاً في التربية والتعليم ، وأن لها أهدافاً وأسساً واضحة ، تنطلق من أصول الإسلام العامة ، وقواعده ، ومذهبيته الكونية والاجتماعية ، التي توقف الإنسان في حدود إنسانيته ، دون أن تحاول أن تجعل منه ملكاً أو تسمح له بالإنحدار إلى الحيوانية الهابطة ، وإنما تحافظ -كما ذكرنا- على توازن عجيب يتصل بأعماق دوافعه الملحة .

وهذا النظام التربوي هو الذي نفتقده بين المناهج التربوية المعاصرة التي تهتم بالجانب العقلي والجسمي دون الإلتفات إلى الجانب الروحي الذي هو الجانب القوي المهيمن [٢٩].

لذا فإن التربية في عالمنا المعاصر تعاني من انفصال الفكر التربوي عن مصادره الإسلامية ، وابتعاد التطبيق التربوي

٢٦سورة الحجرات: آية ١٣ .

٢٧ صفي الدين الخزرجي: سير الأولياء ص٥٣ .

٢٨ الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها ص٣-٤.

٢٩ د. محسن عبد الحميد: الاسلام والتنمية الاجتماعية ص ١٣٨.

المعاصر عن روح الإسلام وأهدافه وفلسفته ، مما أنتج لنا "إنسان الأزمة" ومجتمع النكبة، وليس انسان ومجتمع القرآن والسنة [٣٠].

وبناء على ذلك كله فإن من يدرس التراث التربوي الإسلامي يتأكد له تفوق منهج الإسلام التربوي على المناهج البشرية بمفاتيح ذهبية لا يغشاها الصدأ ، تفتح بها أبواب النفس دون عنت أو - إكراه أو تزييف .. فتشرق بالنور بعد الظلمة ، وبالعلم بعد الجهل ، وبالأمن بعد الخوف ، وبالأمل بعد اليأس والقنوط . وأساس هذا التفوق يقوم على الوسط العدل [٣١].

وكذا فإن إدخال هذا المساق في مناهج دراسة طلبة الشريعة وغيرهم يعين على دراسة مسحية لنصوص القرآن والسنة في القضايا التربوية . ودراسة ومقارنة لأساليب التربية قبل الإسلام وبعده ، وأهم التغيرات التي جاء بها الإسلام ، وكذلك تعين على دراسة مقارنة لغايات التربية الإسلامية وأساليبها مع غايات وأساليب الأمم المتقدمة وهذا بدوره يساعد علماء التربية المسلمين على فهم مهمتهم فهما جيداً والعمل على بناء نظرية علمية إسلامية للتربية واضحة المعالم والأهداف والأساليب .

٣) أساليب التدريس:

هناك ضرورة تنمية الخبرات التدريسية لطلبة الشريعة قبيل تخرجهم ، وتعميق قدرتهم على الخطاب الإسلامي من خلال الدورات التدريبية ، والاستفادة من علوم أصول التدريس ، ومنحهم الفرصة "التطبيقية" المناسبة في التدريس في مراحل التدريس الأساسي والثانوي أسوة بما تفعله بعض الكليات التي تبذل جهداً "مضافاً" على المطالب الأكاديمية من خلال منح طلبتها المعرفة والخبرة والآليات التي تمكنهم من أن يكونوا "مدرسين" أكفاء [٣٢].

ولعل في إضافة مساق أساليب التدريس" إلى مناهج كلية الشريعة ما يخفف من انتكاسة التعليم الشرعي .

ولا يخفى ما لأثر المدرس الكفء في توجيه الشباب نحو العقيدة السليمة ، والخلق المتين ، والسلوك المستقيم .

فالمدرس محتاج بالضرورة إلى التعرف على طرق التدريس المختلفة ، والإطلاع على خصائص التقويم التربوي الجيد ، وأدواته الحديثة .

فطريقة التقويم تؤثر في طريقة

٣٠ د. عبد الرحمن النقيب: الثقافة التربوية ص٩ .

٣١ د. حسن الشرقاوي: نحو تربية إسلامية ص ٨٩.

٣٢ د. عماد الدين خليل: منهجية التعامل مع علوم الشريعة ص ١٥ .

التدريس، وتتأثر بها ، وهذا ما أدركه المربي المسلم ابن جماعة عندما قال: "فإن استشار الشيخ من لا يعرف حاله في الفهم والحفظ في قراءة فن أو كتاب لم يشر عليه بشيء حتى يجرب ذهنه ، ويعلم حاله ، فإن لم يحتمل الحال التأخير أشار عليه بكتاب سهل من الفن المطلوب . فإن رأى ذهنه قابلاً وفهمه جيداً نقله إلى كتاب يليق بذهنه ، وإلا تركه" [٣٣].

لقد كان المسلمون هم الأسبق إلى وضع المناهج ، وتطويرها ، وتحديد طرائق البحث ، والتفكير ووسائل المعرفة ... ولا تزال الأصول المنهجية التي أسسوها ، ودونوها ، سواء كان ذلك في مجال العلوم النقلية ، أو العقلية حتى أرسوا مناهج لكل علم من العلوم الشائعة في عصرهم على حده ، حيث كانت هناك مناهج صارمة للوصول إلى إنتاج معرفي صحيح ، ولم يقتصروا على المنهج الاستنباطي في مجال العلوم النقلية ، بل تجاوزوا ذلك إلى المنهج الاستقرائي في مجال التاريخ والعلوم الاجتماعية .

لكن ، لا بد من الاعتراف بأن عقلية التنهيج والامتداد بالتطوير المنهجي للعلوم، واستحداث مناهج للعلوم المستجدة قد توقف عن التواصل [٣٤]

ويعد كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم لبرهان الإسلام الزرنوجي المتوفى في أواخر القرن السادس الهجري ، من أقدم الكتب المؤلفة لتبصير المعلم بطبيعة طريقة التدريس.

وعن طريق هذا المثال وغيره نحرص على إبراز التصور الإسلامي لطريقة التدريس .

وهذا الحرص لا يقفل الباب أمام بعض الأفكار التربوية المعاصرة . فالحكمة ضالة المؤمن وهو أولى الناس بالبحث عنها والتقاطها أنى وجدها .

وقد يضاف إلى الخبرة التدريسية بالنسبة لطلبة العلوم الشرعية الخبرة الخطابية التي يمكن أن تحفز وتمنح الدربة الكافية من خلال فرص التطبيق عبر سني الدراسة الجامعية .

ويمكن الاستفادة من مساق خدمة المجتمع بجعله قاصراً على ممارسة الطلبة للخطابة في المساجد ، فإن هذا التطبيق يعد بمثابة فرصة مضافة لتعميق القدرات التخصصية والمعرفية فضلاً عن كونه أكثر التصاقاً بالمجتمع والحياة .

---

٣٣ ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آدب العلم والمتعلم ص ٥٦.

٣٤ د. طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي ص ٨٧.

الخاتمة

ولا يخفى أن تدريس تلك العلوم التربوية لطلبة الشريعة سيفيدهم بطريقة مباشرة ، وأخرى غير مباشرة ، أما الطريقة المباشرة ، فإن تلك العلوم الثلاثة إذا أحسن إعدادها ، وتقديمها لطلاب العلوم الشرعية ، سوف تفيدهم في عملهم سواء في مجال التعليم ، أو مجال الدعوة ، أو مجال التشريع وسوف تمنحهم الثقة ، والاعتزاز بالذات ، والقدرة على الإبداع والعطاء ، والابتكار ، والعودة إلى التألق وتسلم مراكز القيادة في المجتمع الذي طالما انتظر الإشارة من علمائه وفقهائه لكي يعدلوا وقفته هنا ويعينوه على المضي هناك وفق أكثر الصيغ التزاماً بمطالب هذا الدين .

وأما الطريقة غير المباشرة ، فإن النظر في التراث الإنساني المعاصر في المجالات التربوية والإنسانية نظرة ناقدة فاحصة ، سوف يفيد في تمييز الإيجابي من السلبي ، والخبيث من الطيب ، والنافع من الضار ، وفق معيار دقيق من الأخذ والرد ، وتحديد المتفق مع التصور الإسلامي ، والمناقض له ، وجمع الإيجابي النافع وفق منهاجية سليمة ، وتوضيح الغامض وتصويب الخاطئ .

وكذا فإن النظر في التراث التربوي الإسلامي الذي خلفه العلماء لنا في القرون الستة الأولى التي تلت ظهور الرسلام -قرون الازدهار في الحضارة الإسلامية- يتبين لنا ما بذله هؤلاء العلماء في سبيل التربية والتعليم ، وما أوقفوه من أموال وعقار على معاهد التربية الإسلامية بكل مراحلها لهو دليل على ماضيهم الرائع الجليل نستطيع أن نفخر على مر العصور والأيام ، فقد كان لهم القدح المعلى في سعة انتشار العلوم والفنون وتعدد وسائل العلم ، وتخريج جيل من العلماء والكتاب والشعراء كانوا -وما زالوا- أعلاماً تنير لنا الطريق ، وتبين مدى ما كانت عليه التربية الإسلامية منذ ظهور الإسلام ، وخلال العصور العربية المختلفة .

وفي ذلك إبراز لهوية الحضارية الشامخة ، واختيار لطريقنا الثقافي الإسلامي المتميز .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

مراجع البحث

١. القرآن الكريم

٢. د. ابراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ربيع أول ١٣٩٢هـ/مايو ١٩٧٢م .

٣. ابن جماعة ، بدر الدين الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، بيروت ، دار الكتاب العلمية .

٤. ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن رب العالمين ، بيروت - دار الجيل .

٥. د. اسحق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، نشر: دار الفرقان- عمان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٦. الأبراشي ، محمد عطية: التربية الإسلامية وفلاسفتها ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٩م ، عيسى البابي الحلبي .

٧. د. حسن الشرقاوي: نحو تربية إسلامية ،مؤسسة شباب الجامعة ، سنة ١٩٨٣م .

٨. د. حسن الشرقاوي: نحو علم نفس إسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٩م .

٩. صفي الدين الخزرجي: سير الأولياء ، تحقيق: مأمون محمد ياسين ، دار العلم - بيروت ، الطبعة الأولى .

١٠. د. طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

١١. د. عباس مدني: مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

١٢. عبد الجواد سيد بكر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، دار الفكر

العربي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٣م .

١٣. عبد الرحمن عميرة: منهج القرآن في تربية الرجال ، عكاظ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

١٤. عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

١٥. د. عبد الرحمن النقيب: الثقافة التربوية لطلبة الشرعية ، بحث مقدم لمؤتمر علوم الشريعة ، عمان ، سنة ١٩٩٤م .

١٦. د. عبد الرحمن النقيب: التربية الإسلامية رسالة ومسيرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

١٧. د. عبد الغني عبود: التربية الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٢م .

١٨. د. عبد الغني النوري: نحو فلسفة عربية للتربية ، الطبعة الأولى ، دار الفك ر العربي-القاهرة ، ١٩٧٦م .

١٩. عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٢٠. عماد الدين خليل: منهجية التعامل مع علوم الشريعة ، بحث مقدم لمؤتمر علوم الشريعة ، عمان ، سنة ١٩٩٤م .

٢١. عمارة بيت العافية: التربية الإسلامية صورة الحاضر وآفاق المستقبل ، بحث منشور في مجلة الدعوة الإسلامية ، عدد ٦ سنة ١٩٨٩م .

٢٢. د. محسن عبد الحميد: الإسلام والتنمية الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-أمريكا .

٢٣. محمد بهي الدين سالم: حول التربية الإسلامية ، مقال منشور في مجلة منبر الإسلام ، عدد ٨ ، سنة ٤٥ ، شعبان ١٤٠٧هـ/ابريل ١٩٨٧م .

٢٤. محمد الغزالي: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

٢٥. محمد قطب: منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٢٦. محمد منير موسى: التربية الإسلامية: أصولها وتطورها في البلاد العربية ، سنة ١٩٨١ ، القاهرة .

٢٧. د. مصطفى غلوش: مستقبل علم النفس ، مقال منشور في مجلة منبر الإسلام، العدد ١١ ، سنة ٤٣ ، ذو القعدة ١٠٤٥/يوليو ١٩٨٥م .

٢٨. مقداد يالجن: أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، الرياض ، مطابع القصيم ١٤٠٦هـ .

٢٩. منير الغضبان: من معين التربية الإسلامية ، مكتبة المنار-الزرقاء ، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٣٠. د. نبيل السمالوطي: المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، دار الشروق-السعودية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٣١. هاني طعيمات: نشأة علوم الشريعة وتطورها وعلاقتها بالوحي ، بحث مقدم لمؤتمر علوم الشريعة - عمان ، سنة ١٩٩٤م .